الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الأدب العربي

مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماستر تخصص أدب مقارن

موسومة بـ

المعيقات الموضوعية لدارس الأدب المقارن في الوطن العربي

من إنجاز الطالبة:

حمة دليلة

بإشراف الأستاذ:

د/محمد كمال بلخوان

الموسم الدراسي: 2015-2016

لا يمكن للأمم مهما بلغت من الرقي أن تكتفي بتراثها الخاص، وأن تستغني عن التراث الإنساني العام، فاقتصارنا على تراثنا يجعلنا نحيا ونعيش في برج عاج، مترفعين عما يجري في عالم البشر، بينما إطلاعنا على تراث غيرنا يقوي صداقتنا ويرسخ دعائم الأخوة والتفاهم بين الأمم ويفتح أمامنا نوافذ نطل منها على العالم بأجمله، فتتسع آفاق فكرنا ونرى الأمور على حقيقتها، وهذا ما وجاء يدعو إليه الأدب المقارن الذي يعتبر المرآة الصداقة للتفاعل القائم في الآداب العالمية على اختلاف أنواعها، فالشعوب كانت وما تزال تتبادل الروافد الأدبية و بهذا تنقل الآثار الخالدة من جهة إلى جهة ومن شعب إلى شعب كما تنتقل السحب والرياح لا تصدها عوائق ولا حدود أمامها.

لقد تربّع الأدب المقارن على عرش الدراسات الحديثة فكان وعاء سارعت الأقوام والأمم لتنهل منه. وكان الوطن العربي واحد من هذه الأمم التي احتضنت هذا الدرس العربي، فبدلت جهود جبارة، وأعمال مكثفة لاستقباله ونشره على أكمل وجه في الوطن العربي، ولطالما تلقى ظروفا عصيبة، اعترضته وهذا أحال كل جديد يفد إلى ما كان لم يألفه، لكن الآمال الكبيرة والطموح الواسعة كانت أكبر من هذه الاضطرابات فظهر باحثون مقارنون عرب، وألفت كتب عديدة في هذا المجال، كما اعتنوا بالجانب النظري تارة والتطبيقي تارة أخرى، وهذا ما جعلنا بحث في:

المعيقات الموضوعية لدارس الأدب المقارن في الوطن العربي

وكان حامله إلى الوطن العربي غنيمي هلال الأدب المقارن علم جديد علينا نحن الطلبة لا عهد لنا به وهذا أولى الدوافع للبحث فيه، ففضو لنا دفعنا إلى معرفة ما سبب تأخره إلى غاية هذه السنة، كما أننا أدركنا أهميته العالمية

ونحن بعلمنا المتواضع نكون قد ساهمنا بحول الله في لفت الانتباه إلى هذا العالم المهم والدعوة إلى البحث فيه والمساهمة في تطويره ونشره في الوطن العربي، ورغم أنه علم عربي النشأة لكن لا بأس

في الغوص في أعماقه لمعرفة حقيقته التي يجهلها الكثيرون وكم في الجهل من خسارة، ولأنه علم نسوه أو تناسوه نجد قلة ممن درسوا الموضوع اذي نحن بصدد البحث فيه، وهذا يجعلنا نتساءل ما سبب هذا التأخر؟ وما العلة في قلة الدراسات في هذا الحقل؟ وما هي أهم المشاكل التي اعترضت طريق الأدب المقارن في الوطن العربي؟ و للأجابة عن هذه التساؤلات بنينا البحث وفق الهيكل الآتي : مقدمة ويلها ثلاثة فصول:

الفصل الأول تحدثنا عن ماهية الأدب المقارن وشروط البحث فيه، تضمن العناصر التالية: نشأة الأدب المقارن في العالم، وأهم المدارس المنظرة له، ثم إشكالية المصطلح فعدة الباحث المقارن.

أما الفصل الثاني عنوانه بالأدب المقارن في الوطن العربي وأهم مشاكله تضمّن العناصر التالية : مراحل دخول الأدب المقارن إلى الوطن العربي، المدرسية العربية، ثم وضعية المقارنين العرب ثم الترجمة وعلاقتها بالدب المقارن.

أما الفصل الثالث: فجاء تطبيقي تضمن بعض الأعمال المقارنين ثم التعليق عليها لاستخراج ما سبق ذكره من معيقات حتى نصيغ هذه الخطة في بحثنا انتهجنا المنهج التاريخي لأننا تتبعنا مراحل تاريخية في ظهور الأدب المقارن، ثم المنهج التحليلي، فقد قمنا بتحليل حال الأدب المقارن العربي لاستخراج أهم المعيقات التي لقيته وحللنا النماذج التطبيقية وعلقنا عليهما محاولين إظهار المشاكل التي سبق ذكرها ثم أهم السبل للنهوض بالأدب المقارن في الوطن العربي، انتهاء بالخاتمة التي تضمنت التنبيه إلى أهمية الأدب المقارن ونظرة عامة لحال الأدب المقارن في الوطن العربي، فقائمة المصادر والمراجع التي كان من أهمها كتاب الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه للطاهر أحمد مكي، مدارس الأدب المقارن لسعيد علوش، الأدب المقارن مشكلات وأفاق لعبده عبود .

ولا يخفى علينا أنه ليس من الهين الخوض في مثل هذا الموضوع لكن الصعوبة هي التي حفزتنا أكثر فا أكثر للبحث والسؤال، فا الصعوبات تعلي الهمم.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف محمد كمال بلخوان على توجيهاته القيّمة وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

الـفصـل الأول

- ماهية الأدب المقارن
- شروط البحث فيه

نشأة الأدب المقارن :

في فرنسا :

مثل هذه الدراسات ظهرت منذ زمن مبكر جدا في عالم المتحدثين باللغة اللآتنية ، وقد نلتقي بها في آخر العصر الوسيط في الرسالة التي كتبها دانتي (1265-1321) من العامية إلى الفصحى وفيما وازن بين أدب الفرنجة في شمال فرنسا، وبين أدب الجنوب منها في برفانس، وازدهر في عصر التروبادور على امتداد القرنين الثاني عشر والثالث عشر قد أثنى عليه دانتي كثيرا.[1]

بدأت الدراسات المقارنة تنمو بفعل الصراع الذي اشتد بين أنصار القديم، ودعاة العصر الحديث، وتولد عنه حوار قوي حوت الأصالة والتقليد والدفاع عن اللغة الفرنسية، في وقت كانت اللاتينية هي اللغة السائدة والمثلى. في أثناء هذه الأحداث بدأت الدعوة إلى أدب عالمي تتبلور، وخلال دلك ظهر كاتب مدام دوستال الشهير، "عن ألمانيا" وفيه انتقدت أولئك الدين يحتقرون الآداب الأجنبية، ولا يهتمون بدراستها.

وقد دعت أيضا إلى دراسة آداب الآخرين في لغاتها الأصلية، وألقت نظرة فاحصة على آداب الشمال وآداب الجنوب، وأبانت ما بينهما من وجوه التشابه والاختلاف كما وازنت بين الأدبيين الفرنسيين والألمانيين وتوصلت إلى أنه هناك شيء غريب يميز الشعوب بعضها عن بعض[2]، وقد يعود هذا إلى البيئة واللغة، ونظام الحكم وأحداث التاريخ المشتركة، التي تفوق قوتها كافة العوامل التي ذكرناها .

[1]) ريني ويليك– مفاهيم نقدية – ترج : محمد عصفور – علم المعرفة 1987 فبراير ص 250

[2]) ينظر، ماريوس فراستواغويار – الأدب المقارن – ترج : هنري زغيب – منشورات عويدات بروت – باريس ص 11-12

ومهما بلغ المرء من الذكاء الحاد، يصعب عليه أن يتتبع ما يخامر فكر من يعيش على أرضه، و يتنفس هواء ليس هواء بلده ولكن يجب أن نكون مضايفين حتى لما هو غريب عنا. أو لسنا في نهاية الأمر نحن الذين نجني ثمار ذلك الانفتاح".

والحق أن مدام "دوستال" كانت واسعة الاطلاع غلى الآداب الأجنبية، هذه الاطلاعات كانت تلتقي مع غايات المقارنة، ويمكن أن يعد تمهيدا لها. في مطلع القرن 19م، بدأ مصطلح الأدب المقارن يتردد، ونجد من يتحدث عن التأثير والتأثير دون أن يعني ما انتهى إليه المصطلح فيما بعد من قواعد واضحة ودقيقة.

استخدم كل من الفرنسيان لابلآس وفرنسوا نويل، مصطلح الأدب المقارن في كتاب لهما أصدراه في 1816، بعنوان محاضرات في الأدب المقارن، جمعنا فيه مختارات من النصوص الأدبية، فرنسية، إيطالية، انجليزية لكنها لم تحمل صلب المقارنة الحق إلا أن هذا العمل مهد للأدب المقارن في أذهان المثقفين.[1]

لكن في فرنسا، وربّما في العالم أجمع يعتبرون جان جاك أمبير وأبل فرانسوا فيلمان أبوين حقيقيين للأدب المقارن[2] . ففيلمان كان أول من استخدم تعبير أدب مقارن على نحو علمي في كتابة "صورة القرن الثامن عشر" ونشره عام 1827 م .وفي عام1828 بدأ يلقي محاضراته في جامعة السوربون، عن دراسة

[1]) ريني ويليك – مفاهيم نقدية – ص 251– 252

[2]) الطاهر احمد مكي – الأدب المقارن أصوله، تطوره و مناهجه ، ص 64–65

التأثير والتأثر الذي مارسه الكتاب الفرنسيون في القرن الثامن عشر، على الآداب الأجنبية والفكر الأوربي وقد نشر هذه المحاضرات بعنوان "محاضرات في الأدب الفرنسي"[1].

بعد فيلمان يأتي جان جاك أمبير(1800-1864) الذي قدم سنة 1830 محاضراته الافتتاحية عن شعر الشمال مند البدء حتى شكسبير.

وقد جاء في محاضر لفيلمان " سنقوم أيها السادة بهذه المقارنة ، فبدونها تكون دراسة التاريخ الأدبي ناقصة، وإذا وجدنا عبر هذه المقارنة أدبا أجنبيا تفوق علينا، في جانب ما، فسوف نعترف بذلك التفوق ونعلنه فنحن معتزون بأنفسنا فلن نكون ظالمين".[2]

وبهذا يكون لفيلمان الفضل في إنشاء التاريخ الأدبي المقارن، و بهذا توضع الدعائم الأولى للأدب المقارن، وقد أصبح علما مستقلا بحوالي عام 1890 أو بالضبط حين نشر فان ترجم مجلة الأدب المقارن سنة 1921 والتي لازالت تصدر حتى يومنا هذا ولم تتوقف إلا خلال ال ح .ع .2، وقد كتب كل من فيكتور هيجوا، جوته، و شكسبير، مقالات في هذه المجلة .

ب-ألمانيا الغربية :

على نحو ما حدث في فرنسا ، بدأ الأدب المقارن في ألمانية تاريخيا أكثر منه نقديا.[3] وبهذا المعنى يمكن أن نعتبر كاسبر دانييل مرهوف، المؤسس الحقيقي له، فهو أول من نبّه إلى أهميته في الدراسات الجامعية

---

[1]) ريني ويليك – مفاهيم نقدية – ص 254

[2]) الطاهر أحمد مكي – الأدب المقارن أصوله، تطوره و مناهجه، ص 70-71

[3]) الأدب المقارن أصوله و تطوره و منهاجه ص 75-77

فأدخله في مناهج الدراسة تحت اسم تاريخ الأدب العالمي.

لم يستطع الأدب المقارن أن يفرض نفسه في ألمانيا قبل أن تتأصل دراسة الدب اللماني من وجهة نظر قومية.

في عام 1807، دخل الأدب المقرن نطاق الدراسة الجامعية تحت اسمه هذا بفضل ماكس كوخ ففي هذا العام أسس هذا الأخير مجلة الأدب المقارن، والتي اعتبرت أنداك لحظة قمة في نطاق المقارنة الألمانية، كما كتب مقالات عن تأثيرات أدبية عالمية كتأثير دانتي في الأدب الألماني[1].

وفي عام 1962، نشر رودجير أروع مقالاته وأكثرها وضوحا ولمعانا، بين كل ما نشر في ألمانيا عن الأدب المقارن، وفيه يرى أن الدب الأوروبي يحدد مجلات الدراسات اللغوية ويتضمن دراسة التأثيرات القديمة و الوافدة من الشرقيين الأوسط و الأقصى[2]، وقد أولى أهمية كبرى إلى :

- دراسة ما تخلف من الآداب القديمة، وإعطاء أهمية خاصة للترجمة تطبيقيا ونظريا والعناية بثقافة الباحث المقارن التي يجب أن تكون كاملة، ومعرفة اللغتين الإغريقية واللاتنية، فضلا عن اللغات الأوروبية الحديثة.
- هذه المفاهيم أدت إلى قيام مدرسة ألمانية مقارنة تدعمها الكراسي التي أنشئت للأدب المقارن في جامعات برلين و دار مشتاد، وتومئ إلى مستقبل متفائل في مجال الأدب المقارن الألماني.

[1]) مفاهيم نقدية، ريني ويليك، ص 255

[2]) ماريوس فرانسوا غويار ، الأدب المقارن – ص 13-14

ج- الولايات المتحدة الأمريكية

يعود تاريخ الأدب المقارن في الو.م.أ إلى الثلث الأخير من القرن الماضي، غير أن الدعوة إلى العالمية، تسربت إلى الجامعات وتجاوزتها الى النوادي الأدبية، قبل دلك بكثير وإن لم يكن ما توصلوا إليه أدبا مقارنا بالقطع، وكان وراء هذه اليقظة جماعة أدبية و مجموعة من الكتاب والأدباء والمفكرين.

في العقد الرابع من القرن الماضي، استيقظت الو..م.أعلى صوت (امرسون)(18-1882) يدعو إلى ربط الآداب الأوروبية بعضها ببعض، بما فيها الأدب الأمريكي،بما فيها الأدب الأمريكي، وكان إمرسون كاتبا فيلسوفا وداعيا إلى الاستقلال والتحرير خصوصا، ودعا الأمة إلى التمرد واليقظة والتخلي عن التبعية الانجليزية في مجال الفكري، في مجال الفكر، وهكذا فتح الباب أمام الشعب الأمريكي ليقرأ الآداب الأخرى.

- أيضا نجد (ادوارد افريت) الذي حمل إلى أمريكا حياة ثقافية جديدة، وهو الذي قال فيه امرسون :"...رجع ادوارد من ألمانية فجاء إلى كمبرج بمعارف ثرية و باهرة، ما كان أحد أفضل منه ستطيع أن يأتي بها و أن يهتدي إلى روائعها كما لو كان فيلسوفا من وراء التاريخ.."[1]

ومع مجيء لونجفيلو، فتح كل الأبواب أمام التيارات الجديدة القادمة من وراء المحيط، فقد نشأ هذا الأخير في جو ثقافي مصقول تحيطه الكتب، وقد دعا الشعب الأمريكي لكي ينسم أريج الشعر الألماني الفياض بالعاطفة والقوة، قدم تراجم لنصوص رائعة من الأسبانية والفرنسية والألمانية في لغة انجليزية

[1]) الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه ، ص 101

عذبة.[1] كان هؤلاء الذين سبق ذكرهم شموعا أضاءوا الطريق للإطلاع على الآداب الأجنبية ولغاتها بعد أن جلبوها إلى أمريكا، كما أنهم مهدوا التربة للأدب المقارن في العالم الجيد.

استمرت جهود الأمريكيين في توسيع الأدب المقارن. نلتقي سنة 1903 (بالأستاذ جيلي) داعية آخر للأدب المقارن، وقد سجل خطوة حاسمة في تاريخ المقارنة الأمريكية، إذ أنشأ مجلة الأدب المقارن، وبعد الح.ع. 1أخذ الاهتمام بالأدب المقارن يأخذ خط تنازليا، ولم يعد يعني غير قليل من الطلاب الأمريكيين[2].

وسط هذا الاضطراب الذي شهدته أعوام 1920–1930 كانت تجيء من وراء المحيط أصوات منعزلة عن محاولة بناء أدب مقارن، واستمرت هذه المحاولات إلى حين الحرب العالمية الثانية وجهود السلام أين قدم للأدب المقارن حياة جديدة، بعدما أوشك أن يلفظ أنفاسه الخيرة، لكن بعد مدة عادت الجامعات لاحتضانه (كجامعاتي ييلف وأنديانا) فتحتا أبوابهما بعد الإغلاق، وقد تقرر إنشاء جمعية الأدب المقارن لتشجيع دراسة الأدب المقارن، بخاصية وأعيد بعث مجلة الأدب المقارن بعد توقيفها.

في نهاية الخمسينات تقدمت المقارنة الأمريكية، خطوة إلى الأمام فقد دعا بلوك وهو سور بوني التكوين إلى إنشاء جمعية وطنية من المتخصصين في الدراسات المقارنة[3]. وهكذا اتضح الأدب المقارن في الو.م.أ وأصبح كل عام جامعي يشهد إنشاء أقسام جديدة، أو حلقات دراسية متخصصة، في الأدب المقارن.

[1]) الأدب المقارن ، ماريوس فرانسوا غويار ، ص 15–16

[2]) الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه ، ص 102–103

[3]) المصدر نفسه ص 105–206–107

إنه بتطرقنا لنشأة الأدب المقارن في فرنسا، ألمانية وأمريكا لا يعني هذا انعدامه في بقية بلدان العالم، بل لأنه تعتبر فرنسا المهد الحقيقي لنمو هذا اللون الأدبي، وتطوره كما تعتبر همزة وصت بالنسبة لبقية أنحاء العالم و أوروبا خاصة، بعد أن أصبحت تعقد له مؤتمرات عالمية سنوية، ثم إن الدارس المقارن باعتباره رحالة، فواجب عليه السير بين بقاع العالم لنشر هذا العلم هنا والأخذ من هناك.

إشكالية المصطلح :

لم يكن من السهل على كل من تصدى لمهمة تقديم الأدب المقارن ، الوصول إلى تعريف يجمع بين الاستيعاب و البساطة والحسم لهذا المصطلح القديم الجديد ، فإما يعمد بعضهم إلى الإيجاز المخل الذي لا يكاد يقدم شيء يذكر ، وإما يعمد بعضهم الأخر إلى الاستغراق في متاهات اصطلاحية ومعضلات لغوية وتعقيدات فكرية يضل خلالها القارئ طريقه ولا تحقق الغاية التي من أجلها بدل الجهد[1]

إن كلمة (أدب) تعني الخلق والإبداع، والأدب المقارن فيما يراد منه لون الدراسات الأدبية والمقارنون يوازنون بين أدبين على الأقل ويقابلون بين أدبين عادة، فهم باحثون وليسوا مبدعين[2].

فالأدب المقارن هو نهج أو منظور معين في دراسة الأدب، و بهذا التوضيح المبدئي ينتقل الأدب المقارن من منطقة الإبداع الأدبي إلى منطقة دراسة الإبداع الأدبي وربما كان من الأوفق لو أننا استخدمنا مصطلح الدراسة المقارنة للأدب، بدل من هذا المصطلح الذي أثار كثيرا من اللبس والجدل[3] .

---

[1]) أحمد شوقي عبد الجواد رضوان ، مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن إدارة العلوم العربية لبنان بيروت/ ط **1** (1410 – 1990) ص 7

[2]) الطاهر أحمد مكي الأدب المقارن أصوله ، تطوره و مناهجه ص 194 .

[3]) شوقي أحمد عبد الجواد رضوان مدخل إلى الدرس الأدبي المقارن ص 8

كان "فان تييحم" أول من قدم تعريفا للأدب المقارن في كتابة الموجز عنه يقول "انه العلم الذي يدرس على نحو خاص آثار الأدب المختلفة في أثارها المتبادلة " وليس المقصود بالمقارنة ادن أن نجمع المتشابه من الكتب و النماذج و لصفحات في مختلف الآداب لنعرف وجوه الشبه أو الخلاف بينهما ولكن هذا ليست له قيمة تاريخية ، على حين المقارنة الحقة هي ذات معنى علمي خالص، فهي تعطي المعرفة أساسا أكثر رجاحة و سعة حين تورد أكبر عدد ممكن من الوقائع إلى أسبابها وتقرير التشابه والاختلاف بين كتابين أو مشهدين أو موضوعين[1].

هذه هي نقطة البدء التي تتيح لنا اكتشاف تأثر واقتباس، أو غير ذلك وتتيح بالتالي أن نفسر أثرا تأثر ولو تفسيرا جزئيا[2]. إلا أن مفهوم الدراسة المقارنة يختلف ما بين العلمي والفني، فهذا الأخير ليس مجرد تصنيف تاريخي، للظهور والموضوعات في الآداب بل إنه مفهوم نقدي لبناء أدبي متكامل لدلك جاءت العلمية عند "فان تييحم" لتعلن عن طموح الدرس الوضعي وهو نفس ما كان يطغى أنداك على التاريخ الأدبي وعلى جل العلوم الإنسانية إلا أن ذلك لم ينف الأدبية عن المقارنة[1]، وعرض الناقد الأمريكي ريني ولكل للأدب المقارن فتحدث عن الأزمة والصعوبات التي يلاقيها، والشكوك التي تثار حوله، وقد تناول تعريفه تفصيلا في دراسته – مصطلح الأدب المقارن وطبيعته– ووجهة نظره هنا جديرة بأن تنقل لأنها بحق تعبير عن نظرة الأمريكي للأدب المقارن ((يدرس الأدب المقارن الأدب مستقلا عن حواجز السياسية والجنس واللغة ولا يمكن أن ينحصر في منهج واحد فالوصف والتشخيص، والتفسير والقص تستخدم كلها في معالجته بنفس القدر الذي تستخدم فيه المقارنة، ولا يمكن للمقارنة أن تقتصر

---

[1]) الطاهر أحمد المكي الأدب المقارن أصوله ، تطوره و مناهجه ص 194

[2]) الأدب المقارن أصوله ، تطوره و مناهجه ص 194–195

على العلاقات التاريخية الفعلية......) وإذا بدا لنا أن نجمل هذه التعريفات المتقاربة في صيغة تجمع بينها جميعها أمكن أن نقول "الأدب المقارن دراسة العلاقات بين أدبين قوميين أو أكثر" وهو تحديد يرضي الجميع ويتفق واقعا مع مظاهر النشاطات المختلفة في مجالات الأدب المقارن[2].

أهم المدارس المنظرة للأب المقارن :

أ – المدرسة الفرنسية :

يمكن أن تشير المدرسة الفرنسية الى اتجاه هام، خلق أتباعا له ببقاع كثيرة، فهذه المدرسة تقترح أساسا صلبا لكل بحث جاد، ومعرفة ما فوق وطنية تعززها ثقافة لغوية، ولا شك أن الفضاء الاستراتيجي الفرنسي، ساعد هذه الأخيرة في أن تكون ملتقا لتيارات من جهة كما أن التاريخ التو سيعي لمستقراتها أفرز بدوره الكثير من الردود من جهة ثانية، مما خدم موقع المدرسة من زاويتين، هما الفضاء والتاريخ ويظهر أن فرنسا كانت مهيأة أكثر من غيرها لاستقبال هذا الدرس المقارن في إطار علاقات الأسباب بالمسببات التاريخية أي أن علاقات القوى بينها و بين باقي الآداب لعبت دورا أساسيا في بلورة شكل مدرسي يستلهم مقاومته داخل مفهوم التمييز والأمجاد التاريخية[3].

إن أسس المدرسة الفرنسية لم تشكلها المصادفة إنما كانت استجابة للنسق الثقافي استدعى تحديد مجال لهذا الفرع الجديد من الدراسات الأدبية، بدراسة التأثير المبني على حقائق وعلاقات تاريخية بين أدبين قوميين مختلفين في اللغة، وهذا يستدعي إشارة إلى ظهور الأدب المقارن تزامن مع ظهور النزعة القومية الفرنسية التي أدت إلى ثورة الفرنسيين على الكتاب بالغات اللآتنية واتجاههم إلى اللغة الفرنسية

[1]) سعيد علوش – مدراس الأدب المقارن – المركز الثقافي العربي ط **1**. 1987 – ص 10

[2]) الأدب المقارن أصوله ، تطوره ، و مناهجه ص 196

[3]) سعيد علوش–مدارس الأدب–دراسة منهجية –المركز الثقافي العربي – ط **1**–1987 ص55

حيث نشأ عصر التنوير في القرن الثامن عشر على أساس اللغة والثقافة في فرنسا، وهكذا توجه الفرنسيون إلى الاهتمام بالغة الفرنسية و الكشف عن دورا في النهضة الأوروبية[1].

في محاولة إعادة الاعتبار لهذه اللغات التي تمثل أساسا اللغات القومية الأوروبية الحديثة ومن هنا ندرك سر تركيز أصحاب هذا الاتجاه على القومية في دراسة التأثير، واشتراط اختلاف اللغة حتى تصح المقارنة. فالفرنسي في دراسة المقارنة لا سيما في طور النشأة كان حريصا على إثبات القوميات في نهضة الأدب الأوروبية المختلفة، وقد دفعه اعتزازه بقوميته إلى اشتراط اختلاف لغة الأدبيين المقارنين ليكشف عن أهمية تعدد اللغات[2].

كما نظروا إلى الأدب من خلال عوامل تاريخية هي الجنس، المكان والزمان، فجنسية الأديب أو قوميته تلعب دورا في تحديد خصائص الأدب، فأهمية الجنسية ناتجة عن بروز الأدب القومي في فرنسا أو كان من الطبيعي في ظل التوجهات القومية في اللغة والأدب والتاريخ في فرنسا، أن يتجه الأدب المقارن اتجاها قوميا تاريخيا هدفه الكشف عن الإسهامات التي يقدمها أدب قومي في تطور أدب قومي آخر لذا اشترطوا في دراسة التأثير والتأثير أن تكون العلاقة بين الأدبيين القوميين مبنية على وقائع ووثائق تاريخية تثبت انتقال الأدب المؤثر إلى الأدب المتأثر هذا أدنى المتأثر، هذا أدى إلى التركيز على وسائط التأثير كالترجمة والرحلات والكتب[3].

---

[1]) حير محمود غيلآن – مقال – الأدب المقارن و دور النساق الثقاية في تطوير مفاهيمه و اتجاهاته من مجلة دراسات يمنية – العدد 80

[2]) الأدب المقارن أصوله وتطوره و مناهجه ص 225-226

[3]) مدارس الأدب المقارن – سعيد علوش ص 57-58

هكذا ظهر الأدب المقارن عند فيلمان، تلبية لهذه الرغبة، حيث تناول في بعض محاضراته التأثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي والإنجليزي، وتأثير الأدب الفرنسي في إيطاليا في القرن 18 م، هدفه من وراء هذا تقديم صورة عن ما تلقته الروح الفرنسية من الآداب الأجنبية وما أعطته لها من أجل كتابة تاريخ أدب شامل لفرنسا[1]. كما أن هذا دفعهم على عدم الاعتراف بالدراسات المقارنة، التي تتسع لتشمل عدة آداب في وقت واحد، و كذلك الدراسات التي تتناول التشابه بين الآداب القومية، حيث يتم تصنيفها تحت ما يسمى بالآداب العام، وكذلك دراسة تأثير شكسبير في الأدب الأوروبي بشكل عام لأن هذا النوع من الدراسات، كما يبدوا لا يتفق مع توجههم القومي، الذي يهدف إلى كتابة تاريخ الأدب الفرنسي .

كلما تقدم ذكره عن المدرسة الفرنسية ومبادئها كان حاضرا في أبحاث وكتب روادها، فقد ألقى جان جاك أمبير 1930، محاضرات في مرسيليا وباريس تمحورت حول التأثيرات المتبادلة بين الأدب الفرنسي وعدد من الآداب الأجنبية في العصور الوسطى. كل التوجهات في الأدب المقارن الفرنسي تكشف عن طبيعة النسق الثقافي المهمين في تلك المرحلة[2]

[1]) أحمد درويش – نظرية الأدب المقارن و تجليتها في الأدب العربي – دار غريب –القاهرة ص 25-26

[2]) الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه ص – 229-230

المدرسة الأمريكية :

يصرح هنري ريماك، المؤسس الأول لهذه المدرسة التي ظهرت في الصنف الثاني من القرن العشرين، أنه" لا ينبغي النظر في الأدب المقارن على أنه نظام مستقل بذات، بل يجب النظر إليه على أنه حلقة وصل بين الموضوعات أو المجالات الخاصة بموضوع واحد، لذا فانه من الممكن إجراء مقارنة بين اثنين أو أكثر من الآداب المخلفة، وكذلك مقارنة الآداب بالمجالات المختلفة للمعرفة كالموسيقى والرسم وما إلى ذلك."[1]

وهكذا يترك ريماك، الحرية لدارس الأدب المقارن في وضع الأسس التي تستند عليها دراسته التي ينبغ أن تبتعد عن معضلة التعصب القومي. وما ميز الدراسة المقارنة الأمريكية هو عزلها عن السياسة بخلاف المنظور الفرنسي[2].

كما شهد ريني وليك وعدد من المقارنين والنقاد في أمريكا، عددا من المتغيرات الفكرية والفلسفية أدت الى تكوين نسق ثقافي، يرفض التاريخية القومية والاجتماعية ، فتركيبة المجتمع الأمريكي المكون من عرقيات وقوميات مختلفة، يجعل التعصب للجنس أو القومية الأم نوعا من العبث، كما أن حداثة تاريخ هذه الدولة مقارنة بتاريخ القومية الفرنسية يجعل الحاضر يحتل أهمية أكبر من الماضي، إضافة

[1]) الطاهر أحمد مكي – الأدب المقارن كلية العلوم جامعة القاهرة ص 43

[2]) ينظر حيدر محمود غيلان – مقال الأدب المقارن و دور الأنساق الثقافية في تطور مفاهيمه واتجاهاته – مجلة دراسات يمينية – العدد 80

إلى أن المجتمع الأمريكي قائم على النظام الرأسمالي الذي يعطي أهمية الإمكانات الإنسانية الفردية سلطة تفوق سلطة المجتمع و سلطة القومية[1].

هذه الألوان اصطبغ بها الأدب المقارن وأدى هذا التوجه الرافض للتمحور حول التاريخ القومي في تناول الأدب إلى ثورة عدد من النقاد الأمريكيين، أمثال ريني ويليك على المعايير الأكاديمية التي تهتم بالعوامل التاريخية أكثر من اهتمامها بالنص الأدبي وجماليته وفي ذلك رفض لما جاءت به المدرسة الفرنسية بشدة، لأن كل من القومية والتاريخية لا يخدمان الواقع الأمريكي و ليس هذا معناه أن ريني وليك ومن معه يدعون للانسلاخ عن الهوية القومية بل لأنهم وجد والمفهوم الإنساني أكثر انسجاما مع متغيرات العصر وطبيعة الأدب .

ويرى ويليك أن التركيز على العلاقات الثنائية القومية، يفقد الأدب المقارن أهميته ويجعله يندرج تحت تاريخ الأدب، فينصرف جهد الباحث إلى عوامل التأثير، والبحث عن الوثائق التاريخية التي تثبت التأثير، دون الاهتمام بالنص الأدبي كما رفض شرط اختلاف اللغة بين الأدبيين المراد مقارنتهما لأن هناك عدد من الآداب القومية لغتها واحدة مع اختلاف ثقافاتها وبعدها المكاني[2].

وبهذا كله يريد ويليك الكشف عن الخلل الذي وقع فيه أتباع الاتجاه الفرنسي، بسبب التعصب للغتهم وقوميتهم، ومن منطلق إنساني يطالب بأن يتسع مفهوم الأدب المقارن ليشمل دراسة التأثير والتشابهات بين عدد من الآداب وعدم الفصل بين الأدب المقارن والأدب العام، إن ريني وليك بهذا يريد أن يضع حل لهذه الأزمة باعتباره الأدب المقارن عمل إنسانيا جماليا لا يهمنا جنسية المؤلف أو ظروفه

[1]) أحمد درويش – نظرية الأدب العربي ص 28-29-30 .

[2]) مقال من مجلة يمينية للدكتور محمد حيضر غيلان ص 103 ، عن مفاهيم نقدية لرني وليك ص 374 .

الاجتماعية، بل يجب التركيز في الأدب المقارن على الأدب وجمالياته لا على العوامل التاريخية، وهذا هو التوجه العام لأصحاب مدرسة النقد الجديد في أمريكا[1].

وعموما يمكن أن نحد ملامح الاتجاه الأمريكي في :

أولا : تجاوزه لمعظم الهفوات التي الاتجاه الفرنسي، أي التغاضي عن دراسته التأثير في ظل القومية أو اللغة، كما أن دراسة الأدب خارج القطر الواحد تشمل دراسة التأثير ودراسة التشابهات بين عدد غير محدد من الآداب، بحيث تتعدى القطر الواحد كما أنهم سعوا في مجالات المقارنة مع الرسم أو النحت أو علم آخر، فا المهم أن يصبح النص الأدبي محورا للمقارنة لأن هدفهم هو تكاشف عن جماليات النص الأدبي[2].

ومن ما سبق ، يتضح أن المدرسة الأمريكية ركزت على النصوص الأدبية، بوصفها نتاجا جماليا إنسانيا لدا اتجه الأدب المقارن إلى الاهتمام بدراسة جماليات الآداب عندهم، ولم يعد هدفه كتابة تاريخ الأدب القومي أو إثبات مدى إسهام قوميته في آداب قوميات أخرى أو إثبات

إن تشابه الظروف الاجتماعية يؤدي إلى تشابه الآداب القومية بل أصبحت مقارنة جماليات النصوص الأدبية، بين عدد من الآداب هي محور اهتمامات أصحاب هذا الاتجاه فا العمل الأدبي عندهم مثل اللوحة الفنية، لا تسأل عن أصول مبدعها أو قومياته.[3]

[1]) ريني ويليك – مفاهيم نقدية – ص 289 .

[2]) أحمد درويش – نظرية الأدب المقارن و تجلياتها في الأدب المقارن ص 31.

[3]) ريني ويليك – مفاهيم نقدية – ص 290 .

ولكن لا يعني هذا أن المفهوم الأمريكي ظل استجابة لوقع وثقافة الولايات المتحدة وإنما وجد أنصارا أو مؤيدين في مختلف أنحاء العالم حتى في فرنسا نفسها .

المدرسة الماركسية :

في دول الاتحاد السوفيتي السابق، ودول شرق أوربا سادت الاشتراكية الماركسية بما تحمله رؤى وتوجهات سياسية واقتصادية مما أدى الى تشكل نسق ثقافي ينسخ سلطة الحراك الاجتماعية في المجالات المختلفة، ويتم النظر إلى جوانب الحياة من خلال هذا النسق فالاشتراكيون ينطلقون من الثورة على الإقطاع من أجل إيجاد عالم بدون طبقات، تختفي فيه الصراعات الناتجة عن الأطماع القومية أو الفردية، ولدا تذوب القومية هنا وتفقد سلطتها، ويتم تجاهل الذات الفردية، لتصبح العوامل الاجتماعية هي المسؤولية عن صياغة الحياة، بغض النظر عن القومية والجنس[1].

أما بالنسبة للأدب المقارن في إطار النزعة الماركسية، فقد تلون هذا الأخير بخلفيات فكرية وسوسيولوجية، وقد وضع روني ايتمبايل في ندوة بودابست 1962 مستشهذا بأقوال ماركس كيف أنه لا مجال للعزلة الإقليمية والوطنية القديمتين الآن، حيث يتحتم انفتاح مجال العلاقات على عالمية الأمم، إذا تصبح أعمال أمة ملكية لكل الأمم مما يبعد المحدودية والوطنية الضيقة[2].

لقد ألقى ألكسندر وديما، في الندوة العالمية للآداب المقارن المنعقدة ببوخارست 1974 يلخص فيها هموم وموقف الاتجاه الماركسي من المدرستين، فلا توجد مدرسة بكل معاني الخصوصية والانسجام، بل يوجد إنتاج يخضع لخلفيات فكرية وسوسيولوجية، فكان موقفه من جمالية الأمريكية وتاريخية الفرنسية،

[1]) مجلة دراسات يمينية ص 90-91-92

[2]) مدارس الدب المقارن – سعيد علوش ص 127-ص 133 .

موضحا الالتباس الذي وقع فيه كلود بيشوا وروني ايتامبل مؤكدا ومشددا على الدرس المقارن في المدرسة السلفية على دراسة مشاكل الآداب لا سوسيولوجيتها، ومن هذا المنطلق تم تقسيم الدرس إلى ثلاثة مبادئ متميزة .

1 . العلاقات المباشرة بين الآداب ذات المناخ الوطني، بعناصرها المحددة ومشاكل التأثيرات .

2 . دراسة الموازنات خارج العلاقات والتأثيرات و المصادر.

3 . دراسة الطوابع الخاصة لمختلف الآداب كموضوع للمقارنة[1] .

ويتوصل المقارن من خلال هذا التقسيم الانتهاء إلى أن دراسة التأثيرات، والمصادر الوطنية تضع عبر المقارنة البنية المتميزة لخصوصية الوطن وأصالته، كما نلاحظ أن المدرسة السلافية لا تتخلى عن التشديد على الخصوصية الوطنية في حديثها عن الدرس المقارن، لأن أهمية هذا الدرس تتحدد في تقدير نزعة الأدب، الذي يستهدف الكشف عن جوهر الفن كظاهرة عليها أن لا تسقط ضحية وصفية أو موقف مسبق من الأدب.

وقد أتاحت المؤثرات العالمية للأدب المقارن، فرصة التعرف والاعتراف بمدرسة سلافية أو الاتجاه الماركسي، يمتلك جميع مقومات المدرسة التي يوضح بعضها أو بعض من معالمها أستاذ من جامع صوفيا هو كيوركي ديموف في النظر لبعض المشاكل التي تتعرض الدراسة المقارنة للأدب يقول:" إن النضج والتطور الثقافي التاريخي والجمالي لكل شعب من الشعوب والإنسانية عامة مشروط بعناصر متعددة ومختلفة في نظامها الروحي والإبداعي ...حددت بطرق ظاهرة وصفية، وبشكل فني أشواطا شعبية

[1]) الأدب المقارن – أصوله و تطوره و مناهجه ص 245 .

وأحداث اجتماعية واصطدامات أديولوجية وأخلاقية ..... ونقبل اليوم كحقيقة علمية قاطعة بأن أدب كل فترة، وكل شعب، خضع في نموه الى قاعدة اتصال متلاحق، عبر الغزوات الثقافية، والحركات اللاديولوجية ومفاهيم دمالية للشعوب المجاورة والمتباعدة، وقد ساهمت بقوة الشروط التاريخية المحددة علاقات إبداعية متبادلة في إغناء الأداب الوطنية، بمساعدة أهم تقاليد السيرورة الأدبية العالمية" ويمكن حصر مداخله كيوري ديموف في العناصر التالية[1]:

1 . الربط الثقافي و التاريخي و الجمالي بنظام روحي لكل الشعب .

2 . جعل المصادر الوطنية و الأجنبية، النواة الأولى لتحديد الظواهر الأدبية

3 . خضوع الأب لقواعد ثابتة للاتصال وتبادل التجارة الأدبية .

4 . ملازمة السيرورة الأدبية اغناء أدبي وطني .

5 . أهنية الدرس المقارن في فهم الظواهر .

6 . دور الدرس المقارن في تمييز النظام العام للخصوصية الوطنية .

7 . خضوع الدرس المقارن في تحليل شروط الظاهرة الأدبية .

وهكذا نلاحظ تموضع المدرسة السلافية بين التاريخية والنقدية، جعلها أكثر انفتاحا على مستجدات الحيات العقلية، فقد حققت ما لم تستطيع المدرستان الأمريكية والفرنسية انجازه وتحقق بذلك المشروع الكبير والذي يجمع بين معالجتي المدرستين السابقتين دون أن تتخل عن نقد أوجه الضعف في المدرستين

---

[1]) سعيد علوش– مدارس الأدب المقارن ص 127–133 .

ذاهبة إلى أبعد حد في الدعوة إلى شاعرية اشتراكية وهذا هو العنصر الجديد الذي يستوجب الوقوف عنده[1]

عدة الباحث المقارن :

يقف الباحث في الأدب المختلفة، وحتى العلوم المتباينة يتابع حركة سيرها، ويحدد طبيعة التلاقي ويحاول أن يقف على نتائجه، وتأثيره على الأدب والفكر، والكتب والموضوعات والمشاعر والأذواق ولهذا يجب أن يكون واسع لأفق موسوعي الثقافة، شديد الملاحظة، ويجب أن يتوفر في المرء ليكون باحثا مقارن بحق أشياء بعضها مكتسب وبعضها فطري توفره الطبيعة للباحث بنفسها[2].

بدء يجب أن يكون مؤرخ أدب، ولكن الاقتصار على الأدب وحده لا يكفي، لأن الباحث لا يستطيع أن يقيم دور الجاحظ أو يدرك بدقة وعمق اتجاهات الأدب في العصر العباسي، إذا كان يجهل المعتزلة وأصولهم ولا يمكن أن يدرس تأثير الأدب الأندلسي في الأدب الاسباني أو الأوربي عامة ما لم ندرس التطور التاريخي لنشأة الدول المسيحية في شمال الأندلس وتكون العناصر في الجانب الإسلامي منه، والصلات التي كانت قائمة بينه و بين جيرانه في الشمال في الحرب والسلم على السواء، والباحث المقارن لا يستهدف دراسة الأدب أصلا، وإنّما غايته أن يؤرخ للعلاقات الأدبية، ومن تم فأن مهمته تتطلب منه أن يكون على علم واسع بأكبر قدر مستطاع بتاريخ الآداب الأخرى[3].

[1] عن 136 –137 المرجع نفسه ص (Guergui dimov – quelques problèmes actuels de l'étude comparée de La litt , Rev Syntisis , Bucorest 1974 , p–8.

[2]) الطاهر أحمد مكي – الأدب المقارن أصوله، تطوره و مناهجه – ص 645

[3]) الطاهر أحمد مكي – الأدب المقارن أصوله و مناهجه، ص 650-651

ولا تغني دراسة تاريخ الأدب عن قراءة الأدب نفسه في نصوصه الأصلية للأن الأعتماد على الترجمة وحدها لا يبلغ بنا الغاية التي نريدها من المقارنة كاملة وإدراك درجة التأثير والتأثر على وجهها الصحيح، للأن لكل لغة روحها وعبقريتها وألفاضها، وبناء جملها، وتشكيل صورها وإن يكن فقدرة المرء على استيعاب اللغات محدودة فهو لا يستطيع أن يتمكن منها كلها ورغم ما دكرناه على الترجمة إلا أنها تلعب أحيانا كثيرة دورا مساعدا هاما، و واجبه أن يستعملها في حذر شديد[1].

والمهم أن يكون الباحث المقارن متمكنا من لغته نفسها، واعيا بأدبه ونصوصه وتاريخه، ومن العلوم التي تعينه على فهمه وتذوقه من نحو وصرف وبلاغة وغيرها .

وقد يجد الباحث نفسه مدفوعا إلى النظر في قضايا تربط بالفلسفة وعلم الاجتماع، والأديان وعلوم أخرى لأن الحد الفاصل بين التيارات الأدبية الصرفة من جانب آخر[2] فأدراك مجالات هذه العلوم ودورها أمر مفيد، ويعين الباحث المقارن على الوصول الى نتائج حاسمة ويجنبه المغامرة والزلل في أبحاثه. بعد هذه الاطلاعات على الباحث المقارن أن :

أولا:

أن يضع يده على نقطة انطلاق في بحثه، من أين يبدأ وأين يجد معلوماته الأولى، وكيف يهتدي إلى مصادر أبحاثه، ومن الأدوات المساعدة التي يجب على الباحث استعمالها دائما، وتجيء مصادر الأدب بعامة، والأدب المقارن بخاصة في مقدمتها.

[1]) فرانسوا غويار الأدب المقارن – ص 17-18

[2]) الطاهر أحمد مكي ، الأدب المقارن أصوله، تطوره و مناهجه ص 648-649

ثانيا:

عليه الاستعانة بالمراجع العامة الذي يجب أن تتوفر لدى البحث وأقدم هذه المراجع مكتوبة في قائمة أعدها، لوي بول بيتر، ويصعب العثور عليها الآن، لأنه لم تطبع كثيرا، ثم الفهرس التاريخي للآداب الحديثة Répertoire chronologique des littératures Modernes وأشرف على إعداده "فان تيجم " وهو فهرس مفصل لكل ما ألف في أوروبا مند اختراع الطباعة حتى نهاية القرن التاسع عشر (1455–1900)[1].

[1]) ماريوفرانسوا غويار، المصدر السابق، ص: 19

الأدب المقارن في الوطن العربي واهم مشاكله

مراحل دخول الأدب المقارن إلى الوطن العربي :

إذا راجعنا تاريخ الدراسات الأدبية لدا العرب، لوجدنا بعض ملامح هذا النوع من الدراسات مند أقدم العصور. على سبيل المثال نجد موازنة بين أبي تمام والبحتري وهي خطوة خطاها الآدمي نحو المقارنة، كما وجدنا مقارنات عديدة بين الأدباء ومفاضلات بين الشعراء إلا أنها لم تستوفي الشروط الكاملة التي نص عليها الدرس الأدبي المقارن.

- لكن الأمر لم يبق على حاله، وخاصة بعد أن استيقظت البلاد العربية من سباتها في القرن الماضي وأزاحت عن روحها وعقلها كوابيس الجمود الفكري، حيث بدأت تلتمس المعرفة أنى تجدها، وكان هذا بطرق وسبل مختلفة إما عن طريق الترجمة ونقل منتجات الفكر الغربي إلى العربية، أو الاطلاع المباشر على فنون الغربيين بعد إرسال بعض البعثات العلمية إلى أوروبا، أعجبوا بدلك الأدب الذي عكفوا على ترجمته حينا وتقليده حينا آخر. فنجد كل من اللغوي اللبناني أحمد فارسي الشدياق (1801– 1887) في كتابه " كشف المخبأ عن كنوز أوربا" و أمين فكري المصري (1899) في "إرشاد الألباب إلى محاسن أوربا"، ورفاعة الطهطاوي (1801– 1873) في كتاب " تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" الذي يتناول رحلته إلى باريس وما شهذه هناك ويقابل بين قواعد اللغة الفرنسية واللغة العربية[1]

_ وإجمالا نقول أنه في الوقت التي لا تزال فيه فكرة الأدب المقارن لم تترسخ بعد في الفكر العربي، يكون قد بلغ واكتسح الساحة الغربية، وهنا نلمح أول معيق للأدب المقارن العربي أي تأخر العرب في احتضانه

[1]) الشبكة العنكبوتية – مقال الدب المقارن و بدايته الأولى في الوطن العربي ص 191–192

الأدب المقارن في الوطن العربي واهم مشاكله

وهذا يعود للأسباب عديدة منها الاستعمار، وللعرب أنفسهم فقد عرفوا بتعصبهم وترفعهم عن الأخذ بالآداب الغربية لانعدام الثقة في المستعمر[1].

ومما سبق ذكره نقر بأن الانفتاح، والتأثر والتأثير الحاصل بين العلمين العربي و الغربي له فضل في دخول الأدب المقارن الوطن العربي. وهذا بعدما أدرك العرب سلبيات العزلة إذا أخذت كلمة "مقارن" تظهر بوضوح في مجال الدراسات الأدبية وقد أخذت تحتل مكانة في بعض المعاهد العليا نرى كلمة"مقارن"أولا في مجال الدراسات اللغوية دار العلوم، ففي جدول الدراسات عام 1924، تبدو بارزة مادة جديدة هي اللغة العربية والسريانية ومقارنتها بالغة العربية والسريانية ومقارنتها بالغة العربية، وقد أسهمت هذه الدار في إرسال دعائم الدرس مع أحمد زكي ومهدي علام وعبد الرزاق حميدة وإبراهيم سلامة[2].

ومن بين أهم الأعمال الكاملة في مجال الدرس العربي المقارن، نجد نجيب العقيقي 1948 تاركا أضخم كتاب " الأدب المقارن " يكشف فيه عن حدود الوعي بالدرس ومستويات إدراكه، احتضن الأدب المقارن لأول مرة بالجامعة العربية بمصر 1646 وخصصت له ساعتين أسبوعيا وقد تعتبر تدريسه منهجيا في الأعوام الأولى نظرا لأنه حقل جديد على الحياة الجامعية والأدبية، ولكن سرعان ما بثت فيه الحياة من جديد ففي عام 1945 تمت ترجمة لكتاب" الأدب المقارن" للباحث المقارن الفرنسي فان تييجم وفي سنة 1953، درس الدكتور محمد غنيمي هلال الأدب المقارن بالإضافة إلى تدريسه للنقد متحمسا لمهمته ومتمكنا من مادته، وأصدر كتابه المشهور "الأدب المقارن" في نفس السنة[3] .

[1]) أحمد درويش – نظرية الأدب المقارن و تجلياتها في الأدب العربي – القاهرة ص 30

[2]) سعيد علوش مدارس الأدب المقارن ص 160

[3]) سعيد علوش مدارس الدب المقارن ص 163 – 164 .

الأدب المقارن في الوطن العربي واهم مشاكله

إذا تركنا مصر إلى بقية العالم العربي لوجدنا صدى الخطوة المصرية خافتا ومتأخرا لأن الجامعات العربية نشأت وظهرت متأخرة عنها، وتعثرت في خطوتها الأولى، وتأثرت بالأجواء المحيطة بها السياسية والدينية والاجتماعية في المقام الأول.

ومن تم لم يحظ الأدب المقارن بأية عناية حتى أوائل الستينات، باستثناء الجزائر التي عرفته في كلية الأدب بجامعة الجزائر الفرنسية بعد الحرب العالمية الأولى، كما كانت هناك محاولات من طرف الشباب الجزائري لإنشاء "الجامعة الجزائرية للأدب المقارن" وصدرت مجلات متخصصة فيه، كما انتشر بعدها في جل البلدان العربية خاصة بعد استقلالها[1]

المدرسة العربية :

لم تستطع هذه المدرسة أن تستقل بدايتها، بل كان يستغرقها هم الترويج والدعاية للدرس المقارن، كما لو كان درسا غربيا محض، تجنب الدعوة إلى تبنيه عربيا قبل ارتباطه باللون القومي العربي، ولعل الخلل أو كل الخلل هو ما أصاب الدرس العربي من انبهار بتاريخية المدرسة الفرنسية خاصة والغربية عامة، وهذا أمر طبيعي لأن المروج الأكبر للأدب المقارن العربي أو حامله إلى العالم العربي وكان سربوني التكوين و نقصد به " غنيمي هلال " الذي آمن بما تؤمن به المدرسة الفرنسية من مبادئ وسار على الاتجاه التاريخي كيف لا وهو الذي تتلمذ على يد "جون ماري كاري" و قد وجد من بعده مقارنين باحثين أمثال "صفاء خلوصي " الذي تموضع بين أطروحتي المدرستين الأمريكية و الفرنسية[2] .

ومن هنا نقول أن الباحثين العرب لم يتوصلوا إلى إيجاد مبادئ خالصة خاصة وجديدة تعني بالأدب المقارن العربي، بل كانوا تابعين و نادوا بمبادئ سواء المدرسة الفرنسية أو الأمريكية وبالتالي لا

---

[1]) الطاهر أحمد مكي – الأدب المقارن أصوله تطوره و مناهجه ص 159 .

[2]) سعيد علوش مدارس الأدب المقارن ص 165 .

الأدب المقارن في الوطن العربي واهم مشاكله

نستطيع أن نقول عنها إلا أنها جهود متواضعة وبسيطة وتبقى هذه التبعية هي أكبر معيق للأدب المقارن العربي .

وضعية المقارنين العرب :

لقد مرّ الأدب المقارن في البلاد العربية، في ظهوره وتطوره بأربعة مراحل فلم يظهر بشكل كامل وفي كل مرحلة كان يظهر فيها عدد من المقارنين في هذا المجال وسنحاول معرفة وتقييم وضعية المقارنين و الأدب المقارن معا في الوطن العربي .

المرحلة الأولى : مرحلة التأسيس 1948 – 1960

لقد اهتم المقارنون العرب في بداية محاولاتهم لممارسة الأدب المقارن بترجمة بعض الكتب المهمة في هذا المجال، كترجمة كتاب أزمة الضمير الأوربي " لبول هازر" حيث نشره جودة عثمان ومحمد نجيب المستكاوي 1948 كما ترجم كتاب بول فان تييجم، و كتاب لآخر لماريوس فراسوا غويار [1] .[1]

وهذه كلها كتب تنتمي إلى المدرسة الفرنسية مما يجعل المدرسة العربية تصتبغ كليا بصبغة تلك المدرسة .كان نجيب العقيقي من أبرز المقارنين العرب الذي أنتج كتبا غنية في الأدب المقارن و ذلك بعد غوصه في آداب كل من العرب والغرب والبحث عن دوافع وبواعث ذلك، وهو في كتابه تناول مفهوم الأدب المقارن مند أرسطو إلى حدود عصره، وقد حاول المقارنة بين ما هو معاصر وما هو جاهلي

[1]) سعيد علوش – مدارس الأدب المقارن ص 201 .

[2]) المصدر نفسه ص 203 .

ودائما نشتم نسيم المدرسة الفرنسية في أعمال المقارنين في المرحلة الأولى لأن المدرسة كانت في أوج عطائها في حين أن المدرسة الأمريكية تصبو إلى العالمية[1].

ليأتي ظهور مقارن آخر هو عبد الرزاق حميدة قام ببعض الإصدارات لكن محمد غنيمي هلال نعث عمله بالسطحية، ونحن نعذره على رأيه لأنه كان يؤمن بالمدرسة الفرنسية ومبادئها فقط ويدافع وأخذ على عبد الرزاق حميدة عمله باعتباره ممارسة شرعية للمدرسة الروسية.

أما الباحث المقارن إبراهيم سلامة كان عميد سابق لكلية آداب القاهرة 1957 وقد تميزت رؤيته بنوع من الدقة والرؤية الشاملة حيث كتب كتاب" بلاغة أرسطو بين اليونان والعرب 1950[2].

وكتاب آخر بعنوان " دراسات في الأدب المقارن " كان طموحه يتمثل في تقريب مكانة الأدب العربي إلى أساتذة الأدب المقارن في الغرب. ما يعاب على أعماله كأنها تميزت بالقصور والاضطرابات في التعريف وهذا لأنها البدايات الأولى للأدب المقارن محمد غنيمي هلال كان هو الآخر من أصحاب هذه المرحلة حيث يعتبر هذا الأخير المؤسس لها يملك حماسا وقناعة للدرس المقارن الذي خصه بحكم أستاذيته للمادة في جامعة القاهرة نشر سنة 1953مؤلفا تحت عنوان الأدب المقارن، وقد صادف الكتاب الذيوع والانتشار أكثر من سابقيه ولاحقيه، وهذا لأسباب كثيرة وقد اقترن اسم المؤلف وصاحبه بدعوة عقائدية إلى تاريخية المدرسة الفرنسية[3]

---

[2]) المصدر نفسه ص 207 .

[3]) سعيد علوش – مكوبات الأدب المقارن في العالم العربي – الشركة العالمية للكتاب – بيروت لبنان – الدار البيضة ط 1 1987 ص 551 .

وكانت مجمل أعماله عبارة عن ترجمة واقتباس دون إحالة من منتجات المدرسة الفرنسية متناسيا التطور الذي يفترضه البحث وهذا لسيطرة فكرة واحدة على ذهنه، وهي تقديم الدرس الفرنسي إلى جمهور لا علم له به، وهذا ما أعاق الدرس العربي المقارن أي خلوه من لمسة عربية خاصة، وجعله خاضعا للتبعية في المرحلة الأولى .[2]

المرحلة الثانية : 1960– 1970 (الترويج)

كان محمد مهدي يدير الدراسات الأدبية وهي متخصصة في الأدب المقارن، وكانت تصدر بالغتين العربية والفارسية، أما جمال الدين بن شيخ فأدار مجلة الدفاتر الجزائرية للأدب المقارن بالغة الفرنسية .

كما ينضم إلى هذه المرحلة محمد عبد المنعم خفاجة وحسن جاد حسن وهما جامعيان عملا بجامعة الأزهر درسا الأدب المقارن بها، حيث اعتبر هذا حدثا خاصا لما عرف عن المدرسة من تحفظ شديد، كل ما قدمه هؤلاء كان في أغلبه نفس ما جاء به غنيمي هلال مما يتنافى و الأمانة العلمية أي عدم وضع الإحالات[1].

المرحلة الثالثة : 1970– 1986

وأطلق على هذه المرحلة عقد الرشد، و ينضم إلى هذه المرحلة كل من عبد السلام كفاكي وطه ندا وبديع محمد جمعة، تميزت هذه المرحلة بفهم متقدم للدرس المقارن فلم يقتصر الدرس على المدرسة الفرنسية وحدها، بل توعى إلى صدى المدرسة الأمريكية ، وهذا للخلفية الفكرية الدراسية لهؤلاء الدارسين فقد أدركوا أن الأدب له علاقة بالفنون الأخرى من موسيقى وتشكيل إلا أنه لم يكن هناك تميز واضح بين

---

[1]) سعيد علوش – مدارس الأدب المقارن ص 556 .

المقارنة و الموازنة، لكن الأهم هو أن مقارنين هذه الفترة[1] فهموا و تقربوا من الأدب المقارن على حقيقته، أي عالمية الآداب دونما حدود قومية أو تاريخية تحكمها.

كما أشار عبد السلام كفاكي إلى مدارس أخرى وقارن بين الأدب العربي والإيراني من مظور اسلامي أمام طه ندا فقد وصف الأدب المقارن على أنه عصى سحرية، تحمل علامة صنع خارجية هي وظاهرة أجمع على خوضها كل المقارنين العرب، كما جعل طه ندا الدرس المقارن موضوعا لقراءة في التاريخ الأدبي عامة[2]

المرحلة الرابعة:

سميت هذه المرحلة بمرحلة الاستقرار، وتميزت بإصدارات عديدة في مجال الأدب المقارن العربي ، حيث أصدر ريمون طحان كتابة الأدب المقارن والأدب العام **1972** ، كما أصدرت ببعض المجلات مقالات حول أصول الأدب المقارن . يحمل "ريمون" دكتورة دولة في الأدب من السر "بونو" هو أستاد للآدب المقارن بجامعة لبنان، اهتم بعلاقة الأدب العام بالأدب المقارن و هذ اما غاب عن سابقيه، تلونت دراسته بالوان المدرسة الفرنسية[3]

ويأتي بعد ريمون طحان، إبراهيم عبد الرحمان، فقد ركز في أعماله المقارنتية على الترجمة، باعتبارها وسيطا بين الآداب و قد قام بدراسات تطبيقية مثل مجنون ليلى، الملك أوديب، بيجاما ليون، وكانت هذه المقارنات بين الأدبيين الفارسي العربي .

[1]) المصدر نفسه ص 210 .

[2]) سعيد علوش مكونات الأدب المقارن ص 560

[3]) المصدر نفسه ص 561 – 562 .

الأدب المقارن في الوطن العربي واهم مشاكله

لقد برز في هذه المرحلة مقارنون آخرون كعبد الدايم شوا، مصدرا سلسلة النقد الأدبي بالجزائر، ونظر إلى الأدب المقارن على أنه موضة أجنبية تصدم الإحساس الفردي و الجماعي النهضوي .

"بدأ العالم العربي مند منتصف القرن الماضي يطل على الغرب و مازال إتصاله مستمر لا ينقطع .....فلا تعجب اليوم لانتقال زي من الأزياء أو اختراع من الاختراعات من عاصمة من عواصم الغرب إلى بلادنا، أو إدخال مخترع بسيط في البلاد العربية في أوائل هذا القرن، كان مداعات الانتقاد والسخرية والخروج من التقاليد، فكيف إن كان المر يتعلق بإدخال تقليد أدبي غربي.....".[1]

يصدر عبد الدايم الشوا في نظرنا عن فكرة الغريب والأليف ومدى التأليف الذي على المبدع أساسا أن يقوم به لتقليص المسافة بينهما، و بالضبط لجعل الغريب – الأجنبي – أليفا محليا، وقد خالف جل السابقين في إعطاء تعريف بالدرس و التقديم له.

هذا رأي توصل إليه هذا الأستاذ انطلاقا من قناعاته ، لكن هذا لم يمنعه من أن يتعمق في الأدب المقارن ليحمله إلى طلابه.[2] إنه باستعراضنا لقوائم هؤلاء المقارنين، نريد أن نسلط الضوء على وضعية الباحثين المقارنين العرب، ويبدو لنا جليا أن العدد كان كبيرا، ولو أننا لم نأت على ذكرهم كلهم واضح لنا أنهم أوصلوا الأمانة التي حملوها على عاتقهم ، والمتمثلة في إدخال الدب المقارن على الوطن العربي و نشره ووضع دعائم وقواعد متينة يبنى عليها و يستقيم أمره من خلالها.

بالرغم من هذا فقد أخد منهم الكثير من الأمور ن أولها أنهم تناولوا الأدب المقارن من الجانب النظري أكثر منه التطبيقي.

---

[1]) سعيد علوش مدارس الدب المقارن ص 220– 221 .

[2]) المصدر نفسه ص 230– 231 .

أما النظري نفسه فلم يكن من نتاجهم أو مما أبدعته عقولهم، بل كان عبارة عن ما نظرت له المدرسة الفرنسية، وما أضافوه فقط عبارة عن شروحات لتسهيل الاستيعاب فقط .

ثاني الأمور وأهمها إنهم لم يتمتعوا بروح الباحث المقارن التلقائية، بل دراستهم للأدب المقارن كانت من أجل التعرف عليه جاهزا لا إبداعا منهم، فهم نفسهم كانوا يتطلعون إلى الأدب المقارن وافدا لا صناع له أو أن يأتوا بنقاط ما كان ليتوصل إليها مقارنون غربيون. – هذا الصنع والإبداع للأدب المقارن بقي حلما يراود الباحثين العرب، لأنه ترسخ لديهم أن الأدب المقارن ملك للمدرسة الفرنسية بالدرجة الأولى، ثم المدرسة الأمريكية بالدرجة الثانية و بهذا يكون العلم غربيا لا محالة .

ومما يعزز ثقافة الباحث المقارن ويزيد من إطلاعاته، الرحلة فهي تكسب الباحث شاعرية و توصله إلى تأثيرات وتأثرات ما كانت لتأتي إليه لو لم يهم بالرحلة، إنها تجربة غنية و يعد الرحالة مبدع قصة ومنظم السرد ومؤرخ، ففي الرحلة تشخيص للطبيعة أو الفضاء الذي نجعله يتكلم، ووصف مؤثر لانطباع، وتكرار غنائي يترجم الدهشة أمام مشهد عظيم.[1]

فقلما وجد هذا و توفر لدا باحثينا أي الرحلة الأمر الذي جعل أعمالهم تتميز بالسطحية والتنظير المترجم.أما الأمر المهم الدي أخد على الباحثين المقارنين العرب هو نقص تشبعهم باللغات الأجنبية وإن تمكنوا من قواعدها المدرسية، فشلوا في الإلمام بالعامية اليومية والتي تساهم مساهمة كبيرة في فهم النصوص فهما صحيحا. وهذا يد فعهم إلى الاعتماد على الترجمة، التي قد لا تستوفي شروط الترجمة الأمينة ، وسأتعرض إلى هذه النقطة المهمة في بحثنا لاحقا.

---

[1]) ماريوس فرانسوا غويار– الأدب المقارن تر: هنري زغيب – منشورات عويدات – بيروت – باريس ص 1 6 – 17 .

[2]) دانيال هنري باجو – الأدب العام و المقارن – تر : غسان السيد – منشورات إتحاد الكتاب العرب 1997 مكتبة الأسد ص 46 – 47

الأدب المقارن في الوطن العربي واهم مشاكله

أيضا يجب إن تتوفر في عدة الباحث المقارن الإطلاع على أمهات الكتب العالمية لباحثين مقارنين، ككتاب" الروزنامة الزمنية للآداب الحديثة" من إشراف بول فان تييجم عام 1937 ، والذي يجمع الربعة قرون (1500 – 1900) جدولا شاملا سنويا للإنتاج الأدبي الأوربي[1]

إن هذه المصادر النفسية في مجال الأدب المقارن إن توفرت عند أحد الباحثين و بلغتها الأصلية، قد توجد عند آخر مترجمة أو تنعدم تماما عند آخرين.

الترجمة و علاقتها بالأدب المقارن :

منذ أن بدأ وعينا المعرفي يتشكل، وجدنا أمامنا روائع الأدب العالمي مترجمة إلى اللغة العربية، بدءا بشكسبير ودانتي مرورا بآداب القرون الوسطى الأوربية، وانتهاء بترجمات روائع الأدب الروسي والأدب الفرنسي. ولهذا لا نبالغ إدا قلنا إن الترجمة شكلت بصورة مباشرة أو غير مباشرة جزء من شخصيتنا، وجزء من ثقافتنا .

يقول الباحثون المقارنون أن العزلة تعني الموت، والترجمة تجعلنا أكثر قبولا للآخر المختلف عنا، وتجعلنا نتشارك ثقافيا في مجال الأدب المقارن.[2] لا يخفى على أحد أنه انتقل إلينا خاصة عن طريق الترجمة وما فرض حضور الترجمة هو عدم إطلاع الباحثون المقارنين العرب على لغات أجنبية والتمكن منها و خاصة الإطلاع على ثقافة تلك البلاد. فلكي تكون هناك ترجمة صحيحة بالإضافة إلى التمكن من اللغة ، يجب الإطلاع أيضا على ثقافة البلد الآخر و معرفة عاداته و تقاليده ، فهذا ما يساعد أكثر على الترجمة.

---

[1]) دانيال هنري باجو – الأدب العام و المقارن – تر : غسان السيد – منشورات إتحاد الكتاب العرب 1997 مكتبة الأسد ص 46 – 47

[2]) غسان السيد – مجلة جامعة دمشق– المجلد 23 – العدد الأول 2007 – الترجمة الأدبية و الأدب المقارن ، ص 10.

الصحيحة . والترجمة معناها أن ننقل نصا من ثقافة إلى ثقافة أخرى ، و من منظومة أدبية إلى منظومة أدبية أخرى.[1]

تدخل الدراسات الترجمية في صلب الدراسات الأدبية المقارنة، ذلك أن الأدب المقارن يدرس الترجمة الأدبية بوصفها علاقة تبادل مثمر تقوم بين أدبين قوميين أو أكثر. فهو يدرس المترجمين باعتبارهم وسطاء أدبيين يمدون الجسور بين الآداب العالمية والقومية المختلفة والمترجم هو الركن الأساسي في العملية كلها . فبالإضافة إلى تمكنهم من اللغتين، وجب توفر الخبرة ، الدراية، والتركيز، وفهم الدلالات المختلفة للألفاظ عندما تتغير السياقات التي تستخدم فيها، وخاصة الأمانة العلمية فهي من أهم الصفات التي يتحلى بها المترجم وهي أصلية الشخصية أكثر مما هي مكتسبة، ومهما كان فالنص المترجم هو نص جديد لأن فيه إبداع صاحبه[2]

مما تقدم ذكره ، نقول إنه حتى تكون دراسة مقارنه صحيحة، يجب أن يكون إطلاع على نصين من لغتين مختلفتين، وتكون الترجمة بالطبع حاضرة فعلى الباحث المقارن أن يختار المترجم النزيه، الكفؤ، لكي تكون دراسته مبنية على قاعدة صحيحة بالتالي تكون المقارنة صحيحة لأن الترجمة سديدة، سهلت العملية، و قلّما يحدث هذا (أي أنه إذا أخفق في الترجمة تكون الدراسة المقارنة خاطئة).

---

[1]) أحمد الطاهر مكي – الأدب المقارن أصوله و تطوره و مناهجه ، ص 285 .

[2]) عبده عبور – الأدب المقارن مشكلات وأفاق – مكتبة الأسد ، إتحاد الكتاب العرب 1999 ، – ص111 – 112

بين رسالة الغفران و الكوميديا الإلهية :

أول صيحة أطلقت بخصوص تأثير رسالة الغفران على الكوميديا الإلهية، كانت للمستشرق الإسباني الكاهن " ميجيل اسين بلاثيوس " عام 1909 الذي أكد فيها أثر رسالة الغفران بالكوميديا الإلهية ومنذ ذلك الوقت والأقلام تنبري إما لتأييدهذه الدعوة أو نقدها .[1]

تتضمن الكوميديا الإلهية عامة قصة حب وسياسة ودين في إطار أدبي رفيع.لكي ينتقم دانتي من خصومه خاصة بعدما تم نفيه إلى الخارج حرر هذه الكوميديا في ثلاثة أجزاء هي: الجحيم، المطهر، الفردوس، وطاف فيها بالعوالم الأخرى بحثا عن جبيته بياتريس ، ورمى في الجحيم بكل أعداء بلده ووضع في المظهر من كانت ذنوبه خفيفة ورفع إلى الفردوس أحياءه ومحبي بلده.

تتشكل هذه الملحمة من مئة نشيد وتنقسم إلى ثلاثة أقسام ومدخل، ويحتوي كل من هذه الأجزاء على ثلاثة وثلاثين نشيدا.لقد قامت شكوك كثيرة حول أصالة هذا العمل ، فقد قام باحثون مقارنون بالبحث عن أصالة هذا العمل[2] .

يوضح الناعوري أن كل هذه الرحلة لا تلتقي في شيء مع رسالة الغفران، وإن يكن في الجحيم بعض المشابهة مع إلياذة هوميروس واوديسته. أما الدكتور حسن عثمان مترجم جحيم دانتي عن الإيطالية مباشرة يقول:" إن الصلة ضعيفة بين دانتي وأبي العلاء، لاختلاف الطريقة والمضمون العام في كل منهما، وإذا كان في الكوميديا أوجه شبه بما سبق دانتي من الأفكار عن عالم ما بعد الحياة، فإنما تختلف وتتميز ببنائها وتفصيلاتها و مضمونها وهدفها "[3]

---

[1]) ماجدة حمود – مقاربات تطبيقية – إتحاد الكتاب العرب – 2000 ص 273 .)

[2]) المصدر نفسه ص 29 – 30 – 31 .

[3]) المصدر نفسه ص 29 – 30 – 31 .

أما مصطفى آل عيال صاحب كتاب دانتي يقول: " إن الكوميديا الإلهية هي معرض حي للصور الشخصية ، تبقى منقوشة في مخيلتنا أحسن ما يكون النقش .... أما عند المعري فالأمر على العكس تماما ليس لأشخاصه ووجه بالتعيين يستلفت النظر". الدكتورة بنت الشاطئ فقد أكدت في كتابها الغفران

أنه لا تشابها بين العملين سواء من حيث الشخصية أو من حيث الفكرة تقول : فالرحلات الخالية إلى العالم الآخر فكرة إنسانية مشتركة ..... تحدثت بها الأساطير قبل أن يولد أبو العلاء، وعرضتها الأديان عرضا مفصلا .....لقد لمحت في جنة دانتي العالية تصويرا للفكرة المسيحية ، يذكرني بالغفران في جنته الحافلة بالملذات المادية "[1] .

[1]) المرجع نفسه ص 31 – 32 .

نقاط التشابه و الاختلاف :

يؤكد عيسى الناعوري، في كتابه" أدباء من الشرق و الغرب في الأدب المقارن " أن في رسالة الغفران حديث مع أهل العالم الآخر، وفي الكوميديا الإلهية حيث مع سكان العالم الآخر .....لكن عند هذا الحد تقف أهم نقاط التلاقي بين العملين الأدبيين ثم يختلف كل شي ء بعدها اختلافا كبيرا في العقلية، والعقيدة والمضمون، والأهداف، والغايات، والمشاهد والأساليب والتخيلات[1]

يشير أيضا أن الرحلات على العالم الآخر هي أقدم من المعري بكثير جدا وسبقه إليها القديس يوحنا في رؤياه، ويوجد أيضا تأثر بقصة الإسراء والمعراج وبالفتوحات المكية لابن العربي، وأضاف أن دانتي لم يكن يعرف اللغة العربية حتى يطلع على هذه المصادر.

في سنة 1949 ظهرت حركة كبيرة للاستشراق توصلت إلى أن المصدر الذي أطلع عليه دانتي، هو مخطوط مترجم إلى اللغة الإسبانية في لهجة قشتالة عن أصل عربي موضوعها " معراج الرسول صلى الله عليه وسلم " واثبت أن نسخة من هذا المخطوط كانت محفوظة في مكتبة الفاتيكان[2].

نحا كل من المعري ودانتي منحى رمزي في عمله، إد كان منهما يأخذ من شخصيته رموزا لشخصيات وقضايا عصره.

قام دانتي بإصدار أرائه الدينية على خصومه مثل المعري، لكنه كان أكثر صراحة و أشد جرأة من المعري بحيث ذكر أسماء خصومه، هذه الرحلة قصد بها دانتي عالم العصور الوسطى بكل ما كان فيه من أطاء وخرافات كما كان يهدف على فضح بعض العيوب الاجتماعية المتفشية حينذاك[3].

---

[1]) ماجدة حمود – مقاربات تطبيقية ص 32 – 33 .

[2]) المرجع نفسه ص 34 – 35 .

[3]) المرجع نفسه ص 36 .

التعليق :

إن هذه الدراسة المقارنة جاءت لتظهر مدى التأثر والتأثير بين الكوميديا الإلهية ورسالة الغفران، الذي أكد عليه الباحثون العرب هو مجرد التشابهات واختلافات بين النصين دون ما التركيز على الجانب التاريخي، أو إثبات دلك التأثير بالاستناد على شواهد تاريخية، كذكر عصر كلا من الأديبين وتتبع حياة دانتي مثلا لمعرفة مما تتكون ثقافته كما أن كل هذه المقارنات جاءت نتيجة الترجمة، أي أنهم لم يطلعوا على النص الأصلي بالغة الايطالية ، وهذا ما قد يغيب الكثير من الحقائق .

ما يدعو الانتباه هو أن الباحثين المقارنين العرب في تكوينهم وأعمالهم النظرية ركزوا على المدرسة الفرنسية، لكل العمل الدي بين أيدينا هو تابع للمدرسة الأمريكية . ربما هذا لسهولتها في تطبيق المقارنة .

نلاحظ أن هناك جمع بين لغتين، العربية والايطالية لعمل واحد، كما وظفت الترجمة التي نظمتها المدرسة الفرنسية وطالبت بالاطلاع على النصوص في لغتها الأصلية، كما لا يخفى عنا غياب المنهج التاريخي، والغوص في الحقائق التاريخية لإثبات حقيقة التأثر وهذا معناه أنه رغم أن المدرسة العربية كان الجزء الأكبر منها في المبادئ، أي مبادئ المدرسة الفرنسية، لكن لم نجد هذا حاضرا في الأعمال التطبيقية بل تم انتهاج المنهج النقدي لسهولته في المقارنة.

أما النتائج التي أتى بها المستشرقون عن مدى تأثر الكوميديا الإلهية بالمصادر العربية الإسلامية أولا ثم برسالة الغفران، ثانيا هذه النتائج توصلوا إليها بعد أن بحثو في حقائق تاريخية واستندوا على أدلة و براهين تقنع بأن دانتي اطلع على الموروث العربي الإسلامي كقصة الإسراء و المعراج التي وجدها في كتب إسلامية إسبانية ، والتقى مع المعري في الرحلة إلى العالم الغيبي.

هيباتيا في الأدبين الفرنسي و الإنجليزي :

سنعرض الآن إلى عمل مقارنتي أكثر دقة وإتقان، ينبعث منه نسيم مبادئ المدرسة الفرنسية، هذا العنوان هو لرسالة دكتوراه دولة في الأدب المقارن لغنيمي هلال 1952 .

كانت "هيباتيا" مصرية النشأة ، ابنة لفيلسوف ينتمي إلى جذور يونانية، عاشت هذه الفيلسوفة بين أواخر القرن الثالث الميلادي وأوائل القرن الرابع " 375 – 315 م ". كانت الإسكندرية عاصمة العالم الثقافية بمكتبتها الشهيرة و جامعتها التي تخرج فيها أكبر فلاسفة العصر القديم، شهد هذا العصر صراع بين الوثنية اليونانية المصرية والمسيحية اليهودية[1]

ولما كانت "هيباتيا" رئيسة الجامعة وصاحبة الخطوة والتقدير في أوساط المتقفين، ولما كانت وثنية، هذا كله أدى إلى حمق المسيحيين عليها ويرونها العتبة الكأداء في سبيل نشر المسيحية. ثم التخطيط للتخلص من هذه الفيلسوفة، ارتقبوا خروج هيباتيا لالتقاء دروسها بجامعة الإسكندرية، فاختطفوها وحملوها إلى كنيسة الإسكندرية و جردوها من ثيابها وقتلوها ثم أحرقوها[2] .

هذا الموقف تحول إلى رمز لم يمت. يرمز إلى صورة نموذجية صراعية للحرية والسعادة وأصبحت تذكر هذه القصة عند كل إطراب ناتج عن التعصب العرقي والسياسي والديني .

إن هذه القصة حتى توصل إليها غنيمي هلال بحث في كتب نادرة الوجود لقدمها ككتابات سقراط الذي عني بكتابة تاريخالكنيسة في مصر حتى 423 م و وصل هذا الكتاب ملخصا.

[1]) أحمد درويش – نظرية الأدب المقارن ص 45

[2]) المصدر نفسه ص 47 – 48 .

أخذ غنيمي هلال يتتبع إرهاصات المعالجة الأدبية لموضوع هيباتيا في العصر الحديث بين الأدب الفرنسي والإنجليزي كتبت روايات وقصص وقصائد في هيباتيا، المغزى منها التسامح والحرية في اعتناق الأديان. في إنجلترا بدأت الكتابات و كثرت في هذا الموضوع ، نجد جون تولاند 1620 – 1722

وفي فرنسا بدأ النقاش أكثر اتساعا وأهمية، كتب عنها كلود بير جوجيه 1697 –.1767[1]

اهتمت الرسالة أيما اهتمام بالأعمال الأدبية الكبرى بالتحليل والدراسة والمقارنة فيما تلتقي و فيما تختلف. كثرت الكتابات في هذه القصة نظرا لظهور اضطرابات عرقية في أوروبا ، هذا ما جعلهم يدكرون رمز التسامح،و الإصلاح الاجتماعي .

كتب الشاعر الفرنسي لوكانت دي ليل عدة أعمال في هيباتيا ، كتب قصيدة 1847 كتب حوارية 1858 بين هيباتيا وسيريل الراهب ، ثم عاد سنة 1874 ليحول الحوارية إلى مسرحية و عززت الانتاجات في موضوع هيباتيا حتى وصلت إلى كتابة الروايات كرواية كليموند درول و قصة البطولة الفائقة " لموريس بار 1885 .[2]

وعلى هذا النحو تنامى موضوع هيباتيا في الأدبين الانجليزي والفرنسي تحت دافع التقدم العلمي الذي قاد إلى التقدم الفكري وشجع على تمحيص ومراجعة الماضي، وكان أن وقف "غنيمي هلال" أمام مجمل هذا التراث في الأدبين الإنجليزي والفرنسي ، ليقدم دراسته العميقة في الأدب المقارن والتي تزخر بالقدرة الفائقة على الاستقصاء والجمع والتحليل والمقارنة.

---

[1]) محمد غنيمي هلال الأدب المقارن ص 115 – 116 .

[2]) محمد غنيمي هلال – الأدب المقارن في توجيه الأدب المعاصر ، ص 117

إن بهذا العمل تشع وتبدو واضحة للعيان قدرة "غنيمي هلال" في المقارنة فنلمس روح المرح في عمله بالاستناد على الحقائق التاريخية والمخطوطات المعنية بهذا الموضوع كما اطلع على الأعمال المتأثرة "بهيباتيا" في لغتها الأم سواء بالفرنسية أو بالإنجليزية وهنا تتجلى مبادئ المدرسة الفرنسية التي تلقينها في الوطن العربي[1].

والحق يقال أن الأدب المقارن في الوطن العربي، وجد وموجود لكن لا يرقى إلى مستوى الأدب المقارن الغربي، وذلك لأنه غربي المنشأ ولأن الظروف هي التي أوجدته هناك أما في الوطن العربي فنقل إلينا ولم يستطع إلا أن يحافظ على المبادئ الغربية سواء بإتباع المنهج التاريخي الفرنسي أو المنهج النقدي الأمريكي، وأحيانا الاتجاه الماركسي . لكن هذا لا يمنع من أن نطوره في وطننا، ونعتني به خاصة في الوسط التعليمي وقد نوّه عبده عبود بمسألة النهوض بالأدب المقارن في الوطن العربي .

---

[1]) أحمد درويش – نظرية الأدب المقارن و تجليتها ، ص 51 .

سبل النـهوض بالأدب المقارن :

إن الأدب المقارن يحمل في صلبه رسالة بالغة الأهمية والسمو. هو علم يدعم وعينا القومي، ويغذي شخصيتنا، كما أنه يكشف لنا عن أصالة الروح القومية في صالتها بالروح الإنسانية العامة، لأن تقويم الأدب القومي تقويم سليم هو أمر غير ممكن إلا بالنظر إليه في نسبته إلى التراث الأدبي الإنساني[1]

هذه النقاط نوه بها "غنيمي هلال" للاعتناء أكثر بالأدب المقارن كونه يهدف بصفة عامة إلى ما هو أكبر من القومية أي الإنسانية فلهذا يجب الاعتناء به أيما عناية في الوطن العربي من خلال:

– الارتقاء بتدريس الأدب المقارن في الجامعات العربية، سواء من خلال تطوير مناهج دراسته، أو بإحداث معاهد خاصة بالدب المقارن في بعض الجامعات، أسوة بما هو قائم في جامعات الأقطار المتقدمة .[2]

– تكثيف استيعاب البحوث المقارنتية لعالمية، وذلك بترجمة المؤلفات الهامة ترجمة أمينة أو نشر ملخصات لما جاء فيها على الأقل.

– مشاركة المقارنين العرب في المؤتمرات العالمية الدولية هي وجه أساسي من أوجه استيعاب ما يستجد في العالم على صعيد الأدب المقارن، فيجب التكثيف منها ونشر مضامينها.

– تقوية التفاعل العلمي بين المقارنين العرب، سواء على المستوى القومي أم داخل كل قطر عربي لمفرده، وذلك بإقامة مزيد من الندوات العالمية والحلقات الدراسية حول المسائل النظرية والتطبيقية للأدب

---

[1]) محمد غنيمي هلال – دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر ، ص1

[2]) عبده عبود – الأدب المقارن مشكلات و آفاق – غتحاد الكتاب العري 1999 – مكتبة السد دمشق . ص 20 – 21 – 23

المقارن. إنه من الخطأ وكل الخطأ بالنسبة للجامعات التي تفاجئ طلابها بمقياس غريب مدة ساعات قليلة في الأسبوع في سنة أو سنتين فقط اسمه الأدب المقارن، هذا من أقوى ما يفشل تطوير دراسته وانتشاره في الوطن العربي.

الخاتمة

إن هذا البحث ما كان ليكون، لولا إدراكنا في وقت متأخر أهمية الأدب المقارن، والتي تمكن في نقاط عديدة منه أنه يسمح باطلاع على آداب أجنبية أخرى، ومقارنتها بالأدب القومي، وهذا ما يؤدي إلى التخفيف من حدة التعصب للغة والأدب القومي، إن التعصب القومي الأعمى يؤدي إلى عزلة اللغة والأدب القومي عن تيارات الفكر والثقافة المفيدة التي ساعد على اغتراء أدب عن أدب كما أن الأدب المقارن يكون في الدارس دراية خاصة تعينه على تمييز ما هو قومي أصيل وما هو أجنبي دخيل من الفكر والثقافة، بالإضافة إلى أنه يزيد من التفاهم والتقارب بين الشعوب لمعرفة عاداتها وطرائق تفكيرها، وآمالها الوطنية وتبادل المنفعة بالأخذ والإعطاء والتأثر والتأثير .

إن معرفة هذه الأهمية البالغة الأدب العربي المقارن لا يجعلنا إلا إن نخوض في مثل هذا الموضوع و نتعمق خاصة وأنه يعتبر همزة وصل بين بقاع العالم و علومها وآدابها .

الأدب المقارن في الوطن العربي موجود، لكنه لا يرقى إلى ما هو موجود في الغرب، وقد نظر غليه في الوطن العربي من الجانب التنظير أكثر كما أنهم اعتمدوا في الغالبية على ترجمة المصادر الفرنسية و العالمية للأدب المقارن وفي هذا توضيح إلى مدى الرغبة في معرفة هذا العلم الجديد لكن الذي يعاب على الأدب المقارن العربي أنه لم يأتي بالجديد لهذا مازال يعاني من المشاكل التي سعينا إلى تحليلها و معرفة منابعها و صولا إلى إعطاء بعض الحلول لعل وعسى ينهض بها الأدب المقارن في الوطن العربي.

المصادر والمراجع

1. أحمد درويش – نظرية الدب المقارن و تجليتها في الأدب العربي – دار غريب– القاهرة – مصر
2. أحمد شوقي عبد الجواد رضوان، مدخل على الدرس الأدبي المقارن إدارة العلوم العربية لبنان بيروت / ط 1 (1410 – 1990)
3. حيدر محمود غيلان– مقال الأدب المقارن و دور الأنساق الثقافية في تطور مفاهيمه و اتجاهاته مجلة دراسات يمينية – العدد80
4. دانيال هنري باجو – الأدب العام و المقارن – تر : غسان السيد – منشورات إتحاد الكتاب العرب 1997
5. ريني ويليك – مفاهيم نقدية – ترج : محمد عصفور – علم المعرفة 1987 فبراير
6. سعيد علوش – مدارس الأدب المقارن – المركز الثقافي العربي ط1 1987
7. سعيد علوش – مكونات الأدب المقارن في العالم العربي – الشركة العالمية للكتاب – بيروت– لبنان– الدار البيضة ط 1
8. الطاهر أحمد مكي الأدب المقارن أصوله ، طوره و مناهجه
9. عبدة عبود – الأدب المقارن مشكلات و آفاق – إتحاد الكتاب العربي 1999 –.
10. غسان السيد– مجلة جامعة دمشق – المجلد 23 – العدد الأول 2007 – مقال الترجمة الأدبية و الأدب المقارن
11. ماجدة حمود – مقاربات تطبيقية – إتحاد الكتاب العرب.
12. ماريوس فراستواغويار– الدب المقارن – ترج : هنري زغيب – منشورات عويدات بروت – باريس
13. محمد غنيمي هلال – دور الأدب المقارن في توجيه دراسات الأدب العربي المعاصر

قائمة المصادر والمراجع

الـفصـل الأول

- ماهية الأدب المقارن
- شروط البحث فيه

الفصل الثاني

- الأدب المقارن في الوطن العربي
- أهم مشاكله